أخطاء في منهج التصدي للتنصير في العالم الإسلامي كمدخل لانتشار الظاهرة

أحمد بن طبة
طالب دكتوراه – جامعة الزيتونة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.
أما بعد،

تبحث هذه الورقة تحت هذا العنوان أخطاء المنهج الإسلامي في مواجهة التنصير والتي مكنت أنصار هذه الحركة من التوغل في العالم الإسلامي، فصراع التنصير مع الإسلام قديم عبر التاريخ وليس وليد هذا العصر ولا الذي قبله يقول الله تعالى: «**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** (62)» سورة فصلت.

إنما هو نشاطهم الدؤوب في تطوير مناهجهم وسبلهم وطرقهم ما جعلنا في كل مرة نظن أن هذه الحركة جديدة لكنها في الحقيقة متجددة، وعليه فيما تتمثل أخطاء المسلمين التي ساعدت على تفشي الظاهرة ؟

أولا- في مفهوم التنصير

أدرجت هنا مفهوم التنصير لما له علاقة بالموضوع في نقاط كثيرة سنمر عليها.

* لقد عرِّف التنصير في اصطلاح الباحثين فيه بعدة تعريفات، ومن بينها ما ورد في الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان من أنه: «حركة دينية سياسية استعمارية، تهدف إلى نشر النصرانية بين الأمم المختلفة عامة، وبين المسلمين خاصة».

* مفهومه من خلال مؤتمر القدس التبشيري عام 1935: « التنصير ليس إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما هو إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها».
* من خلال المجمع الفاتيكاني الثاني 1962: «هو دعوة لاكتشاف القيم الروحية للديانات غير المسيحية من المسلمين وغير المسلمين، وتحقيق التقارب معهم، ودعوتهم للحوار».
* من خلال الكتاب المقدس: ويزعم النصارى أن التبشير بدينهم أمرٌ قد صدر إليهم من المسيح عندما قال مخاطبا المؤمنين: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يعملوا بكل ما أوصيتكم به» (متى 20-19/ 28)».

ثانيا: وسائل وأساليب التنصير الجديدة

لقد سلك التنصير من أجل الوصول إلى غاياته وأهدافه كل أسلوبٍ مناسب لروح العصر الذي يبث فيه سمومه وتعاليمه، بيد أنه بالنظر إلى هذا الأسلوب، نجده معتمدا على طريقتين: الطريقة الأولى: الأسلوب المباشر، والطريقة الثانية: الأسلوب غير المباشر، وتقوم الطريقة الأولى على أساس «التحدي المباشر للإسلام عن طريق المناظرة لعلماء المسلمين»، بيد أن التنصير لم يمض قُدما في هذه الطريقة، وآثر استعمال الطريقة الثانية، لجدواها وعظم أثرها في جهدهم الكنسي الهادف إلى زعزعة عقائد المسلمين في العالم. ولقد عُرِّف الأسلوب غير المباشر بأنه: «القوة الصامتة وغير المرئية التي لا تدخل في أي جدال، ولا تقبل أي اعتذار وعلى الرغم من ذلك تنتقل من العقل إلى القلب الضمير لتحدث معجزة التنصير».

ولهذا الأسلوب وسائل وأدوات يُتوسل بها إلى تحقيق الأهداف

المنشودة، والغايات المحددة المرصودة، وتتمثل في الكراسات الدينية، الصحف، الرسوم الكرتونية المتحركة، الكتيبات والكتب، المجلات، دورات المراسلة، النصوص الإذاعية والتسجيلات، المسرحيات، ومواد القراءة والكتابة، ترجمات الكتاب المقدس، والصور والملصقات، وأي مواد إيضاحية أخرى.

ثالثا: أخطاء في منهج التصدي للتنصير: وهي قسمان:

القسم الأول: الأخطاء العلمية

ليس الحديث هنا عن المؤلفات التي تحتوي ردود العلماء المسلمين على النصارى، تلك جهود أناس انبروا للدفاع عن العقيدة الإسلامية بدلائل وحجج علمية أفحموا فيها خصومهم. بل الحديث هنا عن المؤتمرات والملتقيات العلمية التي تنادي بالحوار، وأيضا المناظرات التي يغطيها الإعلام.

1. **ملتقيات الحوار الإسلامي النصراني:** أول الأخطاء التي ارتكبها المسئولون بهذا الحوار هو جعله علاجا للحد من التنصير، فكيف ذلك ؟

مبدأ الحوار في الإسلام: الاتفاق على نقاط التوافق شرط أساسي لبدايته وهي في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران الآية 64.

فهنا نرى أن الحوار يكون بالاتفاق على عبادة الله وحده وعدم الشرك به، فإذا غابت هذه البنود فسد الحوار ولا يكون أساسا، وإذا انعقد فإنه يكون حوار تطبيع ويخرج عن نطاق الحوار الذي من شروطه إيجاد حلول للطرفين المتحاورين.

2. **خطأ الاعتقاد بأن التنصير يكون عن طريق العقائد**

القسم الثاني: الأخطاء العملية

1. **عدم الانتقال من رد الفعل إلى المبادرة:** يجب علينا كمسلمين أن نكون أول من يبادر بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا ننتظر هؤلاء المنصرين حتى يأتوا إلينا، فحال المسلمين إذا أحسوا بخطر التنصير أثاروا الهلع والخوف في أوساطهم فيقال شاب تنصر وقرية في إفريقيا تنصرت بأكملها وشابة تنصرت وفتاة في المرحلة الابتدائية تنصرت..، كالذي ينتظر العدو يأتيه إلى عقر داره، يقول أحمد ديدات: «نحن المسلمين لم نفعل شيئًا حقًا من أجل ملايين الضالين في العالم، يجب علينا أن ننقذهم من الشرك وإلا فإنهم سوف يجروننا معهم إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة، إن الذين يعبدوا آلهة من البشر في أرض الله الطيبة اليوم أكثر من هؤلاء الذين يعبدون الله الواحد سبحانه وتعالى بعدة ملايين، والشقاء الذي يعيش فيه العالم الإسلامي هو بسبب إهمالنا الكامل في مشاركة دين الله مع شعوب العالم، إن نشر الإسلام أول فرض على المسلم، إذا سقطت هذه الدعامة فأنت على خطر عظيم، لتعلم أن عقاب الله يأتي بغتة»[1].

2. **في عمل الجمعيات**

3. **في مجال التعليم الديني**

* **غياب دور المساجد:** ومن أسباب انتشار التنصير وغيره من الآفات الاجتماعية غياب دور المساجد، حيث تجدها في غالب القطر شبه معطلة عن أداء مهمتها الدعوية والتعليمية، واقتصر دورها في الأعم الغالب على أداء الصلوات الخمس والجمعة فحسب، وقليلا ما تجد مسجدا فيه دروسا أسبوعية أو دورات علمية أو حلقات تحفيظ القرآن أو مكتبة عامرة، ولا تسأل عن الإسهام في العمل الخيري، وقد غلب الهدوء على المساجد حتى صار بعض الناس البعيدين عن حمل أعباء الدين إذا ما سمع بشيء من هذا النشاط العلمي أو الخيري سماه تشويشا وحركة غير عادية.

1. الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ما اسمه، ص60.

إن دور المسجد في الدعوة إلى الله تعالى دور رائد لا بد أن يولى الاهتمام الكافي به، وتحريكُه ووضعُه في مجراه الطبيعي من أعظم وسائل مكافحة التنصير، ويدخل في ذلك بناء المساجد وتوسيعها وترميمها وإعادة فتح ما هو مغلق منها، وكذا تنصيب الأئمة الأكفاء فيها وإلزامهم بالنشاط اليومي فيها وتدعيم هذا النشاط معنويا وماديا، وفتح المجال للكفاءات العلمية والجامعية للإسهام في تنوير الأمة من خلال بيوت الله تعالى[1].

4. على مستوى السلطات: إن التمدد التنصيري في العالم الإسلامي مسألة أمن عقدي وأمن قومي أيضا، وعليه فإن التصدي له مسؤولية الجهات المعنية بالأمن القومي، وفي هذا يقول الباحث والخبير في التنصير الدكتور محمد السروتي: «يجب أن يكون دور السياسي المسلم قويا في مثل هذه الأمور حتى يسد الباب أمام المنصرين، لأن الأمر يتجاوز بكثير مسألة أن تكون قضية شخصية أو حرية فردية، لأنها مرتبطة بالدين والدين في حياة الأمة قضية وجودية»[2].

فمن الأخطاء في هذا الجانب أننا لا نرى تهويلا وتضخيما للقضية بالشكل الحقيقي من طرف السلطات المعنية رغم ما يوجد من إحصائيات وظواهر داخل المجتمعات الإسلامية من تنصير الشباب أيا كانت الأسباب.

5. على مستوى الإعلام:

ومن أسباب انتشار هذا الداء ضعف المواجهة الإعلامية، وهي في نظرنا أهم سلاح يواجه به هذا الداء، لأنه سلاح التوعية والتعليم الذي لا تنفع المواجهة الردعية من دونه، توضيح ذلك أن فائدة إصدار قانون «تنظيم الشعائر» بقيت معطلة لأن أكثر الناس لا يعلمون محتواه ويجهلون أنه يجرم النشاطات التنصيرية في أوساط المسلمين، فلذلك تجد كثيرا

1. أسباب انتشار التنصير في الجزائر (الحلقة الثالثة)، من موقع طريق الإصلاح، الشيخ محمد حاج عيسى الجزائري، http://islahway.com/v2/index.php
2. من موقع مغرس: http://www.maghress.com/attajdid64189

منهم يسأل ماذا يصنع لصد المنصرين في منطقتهم، فإذا وجهوا إلى تقديم شكوى لدى مصالح الأمن يظلون مستغربين من هذا التوجيه لأنهم لا يعلمون شيئا عن هذا القانون.

وتعتبر المواجهة الإعلامية أهم سلاح أيضا لأنها مواجهة وقائية والدفع أسهل من الرفع كما يقولون، ولأنه بواسطتها يمكننا تشجيع أكبر عدد ممكن من المؤمنين للتطوع لدفع هذا العدوان، وإنه ولا شك ليوجد كثير من الغيورين على هذا الدين المستعدين لإنفاق أموالهم وأوقاتهم في سبيله، لكنهم لم يجدوا الطريق الصحيح الموثوق لهذا الإنفاق، ونحن عن طريق الإعلام نوجههم ونحرك عزائهم ونرفع هممهم، وخاصة أن مشاريع الدعوة الإسلامية لا يزال يحملها منذ أمد أبناء هذا الشعب الأوفياء دون غيرهم.

* **وسائل التواصل الاجتماعي**: في حوار مع المنصّر المصري الشهير «زكريا بطرس» مالك ومدير قناة «الحياة»، مع موقع (محاور) التنصيري سأله المحاور: «ما رأي قداستك في وسائل الإعلام المسيحية (النصرانية) وكيفية تدعيمها من وجهة نظرك (فيما يخص التنصير)؟»، فرد عليه بطرس قائلاً: «الرب عامل حاجات (بمعني سخّر أشياء) ما كانت تخطر على البال، يعني أنا في يوم من الأيام تمنيت أن أذهب إلى السعودية كي أخدم (يقصد ينصّر)، فجهّزت جواز سفر به صورة لي من غير العِمّة (غطاء الرأس الكهنوتي)، ولم أكتب اسمي فيه مسبوقاً بـ(القمص) بل كتبت زكريا بطرس بدون ألقاب، وحاولت مراراً أن أسافر إلى السعودية كي أغزو المكان ولكن لم أتمكن من ذلك!». وأضاف: «فلما جاءت التكنولوجيا وعملوا «البال توك» دخلنا السعودية، بل دخلنا إلى قلب (مكّة)، و(المدينة غير المنوّرة) (كما يقول أحرقه الله، وأظلم حياته).. ولنا ناس مؤمنون في مكة، فهناك مسيحي (نصراني) سعودي على الـ«بال توك»، وقد جلست أحاور شيخاً أستاذاً في جامعة فيصل في مكّة لمدة

يومين على «البال توك»...إلخ». انتهى كلامه[1].

6. عدم الاهتمام بالمتنصرين الجدد: من حيث أنهم ضحايا أولا، ثم من حيث أنهم مشاريع تنصير يتم تدريبهم فيما بعد، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر ما أشارت إليه وثيقة سابقة لـ«ويكيليكس» إلى أن 90 في المائة من المغاربة المنصرين اعتنقوا المسيحية على يد مواطنيهم المغاربة، أو بتتبع القنوات الأجنبية عبر الأقمار الاصطناعية، بينما اعتنق 10 في المائة فقط المسيحية بفعل الحملات التبشيرية الأجنبية[2].

فقد جاء في مؤتمر كولورادو كذلك دعوة إلى تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية والوطنية في البلاد الإسلامية. بنص العبارة «يجب أن يتم كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين داخل مجتمعاتهم. ويفضل النصارى العرب في عملية التنصير»[3].

7. في العمل الميداني: عدم توفر مراكز خاصة لتدريب أفراد يمارسون العمل الميداني في مواجهة التنصير، لما له أهمية كبيرة، لأن الحركة التنصيرية تعتمد على العمل الميداني أكثر من العلمي، الأمر الذي يؤدي إلى عدم معرفة وتقصي الخطوات والطرق الجديدة للتنصير، وفي هذا أيضا يقول محمد السروتي: «إن الرسالة التي يجب أن تعيها وتفهمها الجهات الرسمية في الدول المغاربية أن التنصير لم يعد يبتغي تحويل الناس من دينهم إلى النصرانية فقط وإنما أصبح يتوخى إيجاد مجموعة بشرية تدفع إلى إحداث التوتر الاجتماعي»[4].

---

1. «التنصير الإلكتروني» مصيدة خادعة لشباب الخليج، من موقع طريق الإسلام، http://iswy.com/e49eu ،2008/10/06

2. السروتي: التنصير يستهدف 10 ٪ من المغاربة في أفق 2020 ، من موقع هسبرس، http://www.hespress.com/interviews.74206/html

3. انظر كتاب: تنصير المسلمين بحث في أخطر إستراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو، عبد الرزاق دبار بكري، بتصرف.

4. مقال بعنوان: ل«التجديد»: التنصير أصبح يبحث عن أقليات تدفع إلى إحداث توترات

رابعا- الحلول المقترحة :

* إن واجب الحكومات أن تنتبه للخطر التنصيري ولابد وان يهتموا بمثل هذه الأخطار ولا يظن احدهم أن بلاده في مأمن فكل مسئول راع وكلهم مسئول عن رعيته.
* كذلك على المسلمين دعم هيئات الإغاثة الإسلامية التي لابد لها أيضا ان تسارع وتقوم بدورها الإغاثي للمسلمين المنكوبين في الكوارث ولا تتركهم لقمة سائغة لهؤلاء ينهشونهم دون أية مقاومة.
* وعلى الشباب المسلم المثقف الذي ينتشر على الانترنت ويقضى معظم وقته في مناقشات خالية من الفائدة أن يجعلوا لهم هدفا كبيرا وعظيما أن يثقفوا أنفسهم ويثقفوا غيرهم ويردوا الشبهات التي تحاك لامتهم ولدينهم وان يتولوا الرد على هؤلاء مثيري الفتن في أماكنهم لدحض الفكرة المشوهة والمغلوطة وبيان وجه الحق فيها.

خاتمة :

*** نتائج:**

- أن مشكلة العالم الإسلامي ليست مع التنصير في حد ذاته إنما هي مع...
- أن حركة التنصير تتجدد في كل مرة تستكمل الطريقة الجارية دورها.
- لم تعطى حركة التنصير بعد الاعتبار اللازم في الوسط الإسلامي الأمر الذي أدى إلى انتشار الظاهرة في الفراغ.

*** توصيات:**

- يجب التحقق أولا من الإحصائيات الصادرة عن الجهات النصرانية من مجلات وقنوات..

اجتماعية، من موقع مغرس: http://www.maghress.com/attajdid64189

- تكوين مراكز خاصة تقوم بتدريب أفراد للعمل الميداني.

وفي الأخير لا أزعم أني وفيت بالمطلوب من خلال طرح هذه الأخطاء وتحليلها ولكن هذا ما تيسر لي جمعه، فإن أصبت فمن توفيق الله وتسديده وإن أخطأت وقصرت فمن نفسي ومن الشيطان، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.